أبرز الرحالة الألمان الذين زاروا ليبيا في القرن التاسع عشر

تعتبر كتب الرحلات جامعة بين الأدب والتاريخ، وقد استحوذت على اهتمام واسع من القراء في العالم كله عبر العصور، والمهتم بالتاريخ الليبي يجد أمامه كمّا لا بأس به من كتب الرحالة الذين زاروا ليبيا ودونوا مذكراتهم وكتبهم ودراساتهم حولها، في القرن التاسع عشر ازدهرت هذه الرحلات التي استهدفت ليبيا أحيانا بشكل مباشر وأحيانا كطريق نحو عمق افريقيا، فليبيا ومدنها كما سماها بعض الرحالة "بوابة الصحراء".

من أبرز نتائج هذا الاهتمام انشاء جمعية لندن المتخصصة للاستكشاف في أفريقيا، وقد قامت بإيفاد العشرات من الرحالة إلى بلدان افريقية شتى، وجذبت إليها معظم الأوربيين المهتمين بالاستكشاف والتاريخ وذوي الاطلاع الواسع بأحوال افريقيا وتاريخها، قد تكون التوجهات الاستعمارية واحدة من الدوافع لإنشاء هكذا جمعية تعنى بجمع أكبر كم من المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية عن البلدان الافريقية، وقد يكون حب الاكتشاف والرحلة دافعا أيضاً، لكن المهتم والقارئ اليوم يدين بالكثير من الفضل لأولئك الرحالة في معرفة الكثير من أحوال وتاريخ وأحداث القرنين الماضيين بالخصوص، لما احتوته كتبهم من مشاهدات وملاحظات وحكايات غاية في الأهمية.

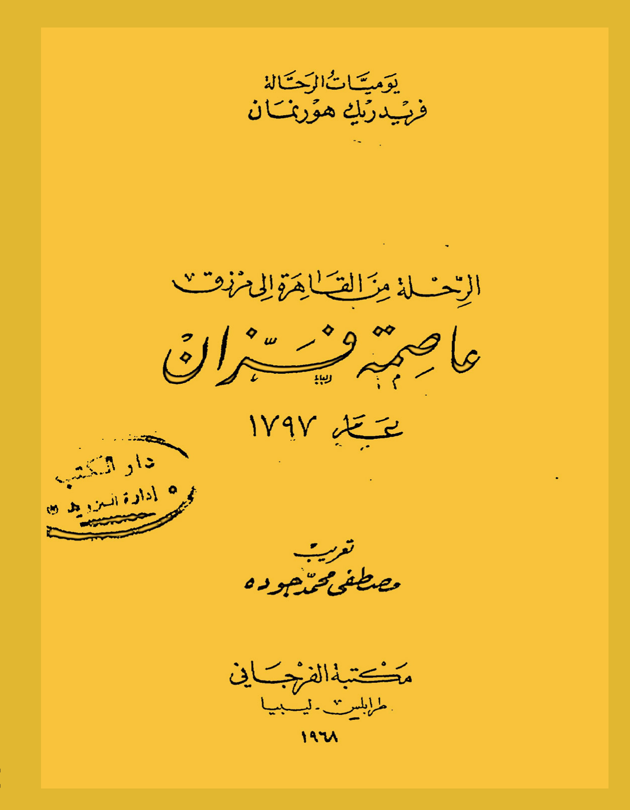
وقد برز الرحالة الألمان من بين بقية الجنسيات الأوربية بإنجازاتهم الكبيرة في مجال الاستكشاف في ليبيا، وان كان الأمر لم يقتصر عليهم إلا أنهم تركوا أثراً بارزاً في تأريخ الأحداث الليبية في القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، وهذه محاولة لتسليط الضوء على أهم وأشهر الرحلات التي قادها مستكشفون ألمان في ليبيا إبان تلك الحقبة.

فريدريك هورنمان

من أوائل الرحالة الألمان الذين زاروا ليبيا، ومن أبرز المستكشفين الأوربيين في افريقيا وواحد من أشهرهم، ولد في هلدسهايم سنة 1772، درس الفلك واللغات والعلوم الطبيعية تحت إشراف العالم الشهير بلومنباخ الذي أوصى به لجمعية لندن التي اختارته مبعوثاً لها.

بدأ رحلاته التي استمرت بين عامي 1797-1801 من القاهرة التي قابل فيها نابليون بونابرت، ودخل ليبيا عبر الحدود الشرقية ومن أبرز محطاته التي ذكرها في رحلته أوجلة وجالو وجبال الهروج وصولا إلى مرزق.

وانطلق من هناك نحو برنو في النيجر حيث ووافته المنية بسبب إصابته بمرض الزحار سنة 1801، وطبعت مذكراته وتقاريره عن ليبيا وترجمت باسم "يوميات الرحالة فريدريك هورنمان الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان".


يوميات الرحالة
فريدريك هورنمان

الرحلة من القاهرة الى مرزق
عاصمة فزان
عام ١٧٩٧

دار الكتب
إدارة التسجيل

تعريب
مصطفى محمد جوده

مكتبة الفرجاني
طرابلس - ليبيا
١٩٦٨




منطقة إدري كما رسمها بارث سنة 1850

هنريك بارث

المؤرخ والمتخصص في الآثار والمستكشف الشهير هنريك بارث ولد في هامبورغ، واشتهر بمعرفته في علم الآثار وحبه للسفر والترحال،.زار مدناً ليبيّة عدة بين عامي 1850 - 1855، وكانت أهم رحلاته كانت رحلة جمعته بكل من الانجليزي ريتشاردسون ومواطنه أوفرفيج والتي توغلوا فيها من ليبيا عبر الصحراء متجهين نحو وسط افريقيا لكن الرحلة لم تكلل بالنجاح، فقد قتل ريتشاردسون وأوفرفيج في ظروف غامضة، فيما تمكن بارث من العودة إلى مرزق ثم إلى مناطق عدة في فزان والجفرة قبل أن يغادر ليبيا عبر طرابلس عائدا إلى وطنه، كتابه تضمن مذكرات ومعلومات عن مدن ليبيا عدة وطبع وقد احتوى على عدد من اللوحات المهمة التي رسمها لمدن ليبية وألبسة وأدوات عدة.


مدينة مزدة كما رسمها بارث سنة 1850


مدينة مرزق كما رسمها بارث سنة 1850

ألبارون هنريك فون مالتسن

مغامر ومستكشف كثير الرحلات ولد في درزدن سنة 1821، أتقن اللغة العربية وتنكر في زي حاج مسلم، أقام بالجزائر واتجه منها إلى مكة والجزيرة العربية، وزار طرابلس سنة 1869 والتقى هناك بمواطنه غيرهارد رولفس، تميز كتابه عن طرابلس بمعلومات تاريخية وسياسية واجتماعية غزيرة جدا، مكنه من ذلك علاقاته التي طورها مع علي رضا باشا والمسؤولين في طرابلس آن ذاك بفضل لغته العربية المتقنة. أنهى مسيرته بطريقة سيئة اذ انتحر في بيزا سنة 1874 ليضع حدا لحياته، كتابه عن طرابلس طبع وترجم للعربية تحت اسم "رحلة في إيالتي طرابلس وتونس".



مدينة ودان – لوحة من كتاب رولفس "رحلة إلى الكفرة"

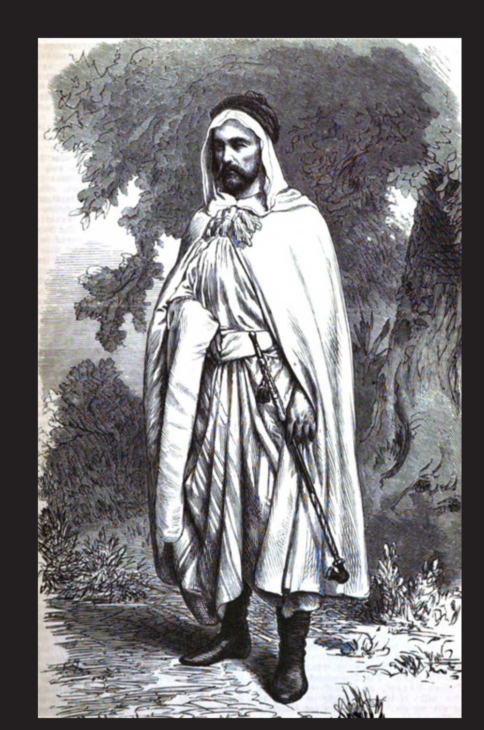
غيرهارد رولفس

ربما يكون الأشهر على الإطلاق، مستكشف ورحالة بارز اشتهر بتحقيقه للمهمة التي كانت شبه مستحيلة .. وهي الوصول إلى الكفرة، وسجل اسمه في تاريخ المستكشفين كأول أوربي يدخل الكفرة.

ولد سنة 1831 في بريمن في أسرة مهتمة بالعلوم، لكنه كان معروفاً بقلة اهتمامه بالمدرسة وتركها نهائيا في سن السادسة عشر، وعاد إليها مؤقتا بعد أن أقنعته والدته لكن ذلك لم يدم طويلاً فتركها وانضم للعمل في الجيش الذي مكنه من السفر في أماكن عدة قبل أن يتفرغ للترحال عبر إفريقيا ويصبح أحد رواده.

كانت لرولفس ثلاث رحلات في ليبيا : الأولى بين عامي 1865-1867 من طرابلس إلى مرزق / الثانية بين عامي 1868-1869 من طرابلس إلى الإسكندرية / الثالثة بين عامي 1878-1879 من طرابلس إلى الكفرة.

طبعت جميعها وترجمت إلى عدة لغات، وتعكس الرحلات الثلاث وجهات نظر مختلفة ربما لإختلاف الزمان والخبرة بينها، وتعد رحلته إلى الكفرة الأهم والأشهر وقد تعرض فيها لعقبات كثيرة، ورغم أهمية هذه المذكرات إلا أنها لا تخلوا أحيانا من عبارات قد تبدو عنصرية وهي أمر لا تخلو منه كثير من مذكرات الرحالة في ذلك الوقت.



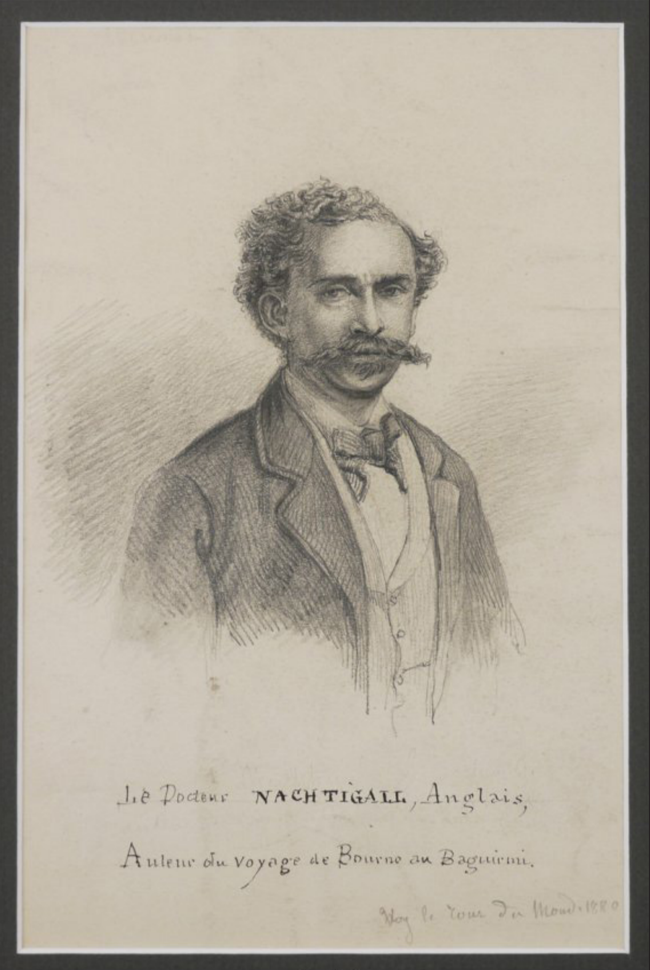
غوستاف ناختيغال

الدكتور غوستاف قادته حالته الصحية وإصابته بالربو إلى الاستقرار في شمال افريقيا، بدأ رحلته في ليبيا سنة 1869 فزار طرابلس وبني وليد ومرزق وسبها والقطرون ومدنا عديدة في الجفرة وفزان جاء وصف نسخة مكتبة الكونغرس لكتابه في المكتبة الرقمية العالمية.

"كتابه (**الصحراء وبلاد السودان**) هو وصف مفصّل لرحلة عبر الصحراء الكبرى استغرقت ست سنوات قام بها في 1869-1875 المستكشف الألماني غوستاف ناختيغال (1834-1885).

وُلد ناختيغال لقسٍّ لوثري ببلدة آيِشْشتَدْت في ولاية سكسونيا-أنهالت وتدرّب ليصبح طبيباً ومارس مهنته لعدة سنوات كجرّاح عسكري في كولونيا، وبعد أن أصيب بداءٍ عضال في الرئة، سافر في أكتوبر 1862 إلى بونه (عنابة الحالية) بالجزائر على أمل الاستشفاء في طقس دافئ جاف، بعد ذلك بعام غادر إلى تونس، حيث أقام لعدة سنوات ومارس الطب وتعلَّم العربية.

كان ناختيغال على وشك العودة إلى ألمانيا حينما طلب منه المستكشف الألماني غيرهارد رولفْس أن يذهب في مهمَّة إلى مملكة بورنو، التي كانت تقع في الجزء الشمالي لنيجيريا الحالية، وذلك نيابةً عن ملك بروسيا "فِلهلم الأول"، كان فلهلم يريد أن يشكر سلطان بورنو على العطف الذي أولاه للمستكشف الألماني هاينرش بارت (1821-1865)، قبِل ناختيغال التكليف وغادر في فبراير 1869 مرتحلاً عبر الصحراء في معية ستة رجال وثمانية جمال. يسرد



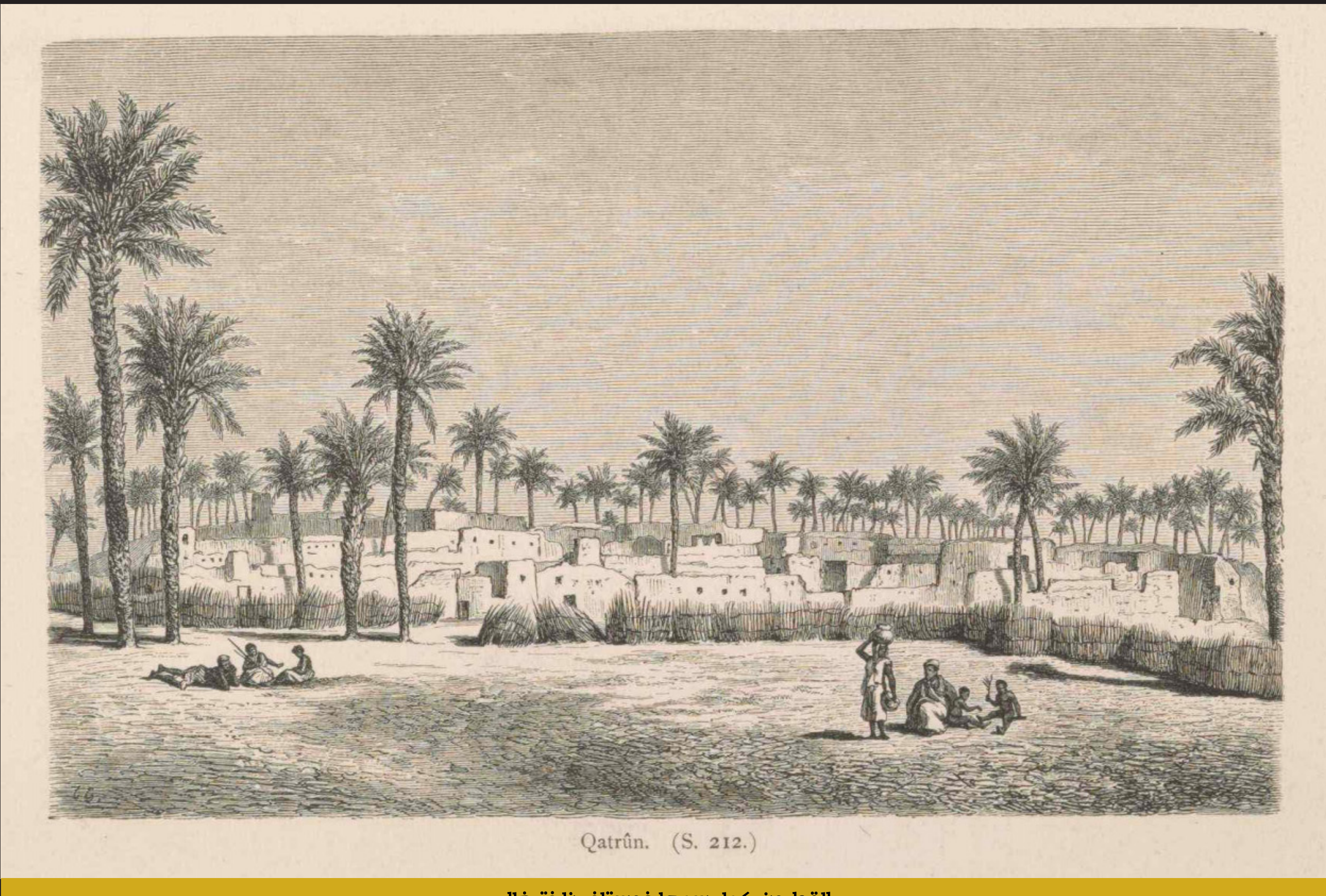
Item #49

Dschedid in der Oase Sebha. (S. 71.)

لوحة لمدينة سبها من كتاب غوستاف ناختيغال "الصحراء وبلاد السودان"



قلعة مرزق كما رسمها غوستاف ناختيغال



القطرون كما رسمها غوستاف ناختيغال

المجلد الأول من سَهارا أُند زُودان، الذي نُشر في 1879، الجزء الأول من تلك الرحلة، التي قادته من طرابلس (ليبيا الحالية) عبر فزّان في جنوب غرب ليبيا وإقليم تبستي (الواقع حالياً في ليبيا وتشاد والنيجر)، ومن ثم إلى بورنو، حيث قدّم هدايا من الملك البروسي إلى السلطان. المجلد الثاني من الكتاب، الذي نشر في 1881، يغطي الجزء الثاني من الرحلة، من بورنو إلى سلطنة باغيرمي (تشاد الحالية) ثم إلى تمبكتو (مالي الحالية)، أما المجلد الثالث، الذي نشر في 1889، أي بعد أربع سنوات من رحيل ناختيغال، فهو يسرد الجزء الأخير من البعثة، من ودّاي (في شرق تشاد الحالية) عبر دارفور (في غرب السودان الحالي) وأخيراً إلى الخرطوم على نهر النيل، قطع ناختيغال إجمالاً حوالي 10،000 كيلومتر، متنقلاً في أجزاء من إفريقيا لم تطأها قدم أي أوروبي قبله.

يُعتبر ناختيغال أحد أعظم مكتشفي إفريقيا الأوربيين، فهو يظل مثل مواطنه بارت، محل احترام كبير لغزارة علمه وملاحظاته الدقيقة وجهوده لفهم الشعوب التي تنقّل بينها، ولا يزال سَهارا أُند زُودان يمثل مصدراً تاريخياً هاماً لتلك البلاد الشاسعة التي تنقّل عبرها ناختيغال"